عوامل الهجرة من الجنوب إلى الشمال
(دراسة تحليلية)

الأستاذ : حمودة مسعود

جامعــة أدرار

Hamouda@yaho.fr

ملخص:

تهدف دراستنا هاته إلى تقييم مستقبل التدفق للهجرة بين الدول النامية والدول الأكثر تقدما ، كما نتطرق إلى العوامل الحيزية والاقتصادية ، كذا الأسباب الدافعة والجاذبة للهجرة ونركز في موضوعنا هذا على ثلاثة عوامل :

- **أولا: الاتجاهات الحاضرة كما هي مقاسة من طرف الأمم المتحدة**
- **ثانيا: تقييم الموقف العام تجاه الهجرة**
- **ثالثا : فحص قرب المناطق الدافعة والجاذبة للهجرة**

ونختتم هذا الموضوع بدراسة مقارنة بين حاضر الهجرة ومستقبلها

مقدمة :

– إن الهجرة اليوم مفهومة كآلية معقدة وكثيرة الأجزاء ممكن أن تحلل وتدرس من آفاق متعددة في المفاهيم والهياكل المختلفة .

فالفكرة الأساسية حول الهجرة بين البلدان النامية (الجنوب) والبلدان المتقدمة (الشمال) هي أن الناس عليهم أن يتوجهوا شمالا.

فالهجرة أحيانا تعني التغيرات الدائمة في الإقامة ربما أننا نعرف المناطق كقارات أو مجموعة من الأمم ، فالهجرة (بين المناطق) تعني عبر هاته المناطق . هناك عدد كبير من الأشخاص الذين يدخلون بلد ما أو يهاجرون له ، لا تعرف منهم إلا نسبة ضئيلة كمهاجرين بينما السياح ، منفذي الأعمال العمال المؤقتون ، الباحثون عن ملجأ لإيجاد بيت جديد كلهم لا يعتبرون مهاجرين .

فنقصر في دراستنا هذه على المهاجرين الذين تلقوا إذن بالقامة الدائمة فقط ، بما فيهم الذين أصبحوا بعد ذلك مواطنون من البلد الجديد . والموطنة هي عضوية لدولة ، وهذا تعريف شرعي خالص ، يقدم كأساس لعدد من الحقوق والواجبات والأكثر أهمية هنا هو الحق الشرعي لشخص باق في البلد أين هو فيه مواطن (ة) [1].

بالعودة إلى الوثائق التاريخية ، نجد أنه في الفترة من عام 1821 إلى 1932 كانت أمريكا اللاتينية وبشكل خاص الأرجنتين ، من الدول التي احتضنت الهجرات الاقتصادية الأولى ، التي كان يهجرها أهلها بحثا عن مصدر أوفر للرزق بعد أن ضاقت بهم السبل في قارة كانت تعيش أزمة اقتصادية خانقة . لكن بتحسين الأوضاع الاقتصادية في أوربا بعد الحرب العالمية الثانية ، لم يعد من هؤلاء المهاجرين إلا القليل ، ومعظمهم ممن كونوا ثروات كبيرة خلال سنوات الهجرة وعاد بها إلى الوطن ألام لاستثمارها في إقامة مشاريع اقتصادية تعتمد على الأموال التي اكتسبوها في تلك البلاد ، وربما كانت هذه البداية التي أدت إلى انهيار الاقتصاد في دول أمريكا اللاتينية بهروب أموالها إلى أوربا مع المهاجرين العائدين إلى بلادهم ، اضافة إلى أسباب أخرى منها الأحداث السياسية التي شهدتها معظم تلك الدول ، خلال عقدي السبعينات والثمانينات ، حيث كانت الانقلابات العسكرية هي السمة

المشتركة بين تلك الدول فبدأت أولا الهجرة العكسية إلى أوربا لكنها في معظمها سياسية .

هروبا من الوضع الاقتصادي المتردي ، بدأ المواطن العادي يبحث عن لقمة خبز في خارج الوطن سواء كان ذلك من خلال عبور الحدود من بلده الفقيرة غير المستقرة إلى بلد أخر أقل فقرا و أكثر استقرارا أو إلى بلدان المتقدمة سواء في الشمال أمريكا أو أوربا.

فمثلا كانت فنزويلا ملجأ للهاربين من فقر كولومبيا ، والولايات المتحدة شمالا ملجأ للمكسيكيين الذين يعبرون نهر (برا فوا) الفاصل بين عالمين (الشمال الثري والجنوب الفقير) [2].

لكن الهجرة إلى الولايات المتحدة كان دونها الموت في كثير من الأحيان إلا أن التضييف على الهجرة للولايات المتحدة الأمريكية (و.م.م) وزيادة معدلات الفقر في معظم الدول (أفريقيا ، أمريكا اللاتينية ، وأسيا) دفع بشعوبها إلى أوروبا [3].

ولترجمة هذا الوضع بالأرقام نجد أن إحصائيات الأمم المتحدة تشير إلى أن الهجرة من أمريكا اللاتينية إلى أوروبا كانت عام 1965 تصل إلى حوالي ستة ملايين مهاجر وارتفعت سنة 1990 لتصل إلى ما يقارب سبعة ملايين ونصف ، كما بلغت عشرة ملايين مهاجر حسب إحصائيات 2000 ، ويمكن لهذا الرقم أن يتضاعف ، بالرغم من القوانين المسنة للحد من الهجرة خاصة قوانين برشلونة واستكهولم . لكن طالما استمر تفاقم الخلل بين الشمال والجنوب ، لن تجدي سياسة دعم ترسانة الإجراءات العقابية – سواء استهدف أفرادا أو دولا في الحد من عمليات الهجرة غير المشروعة ، وقد حذرت منظمة التعاون الأوروبي من أن تجارة تهريب البشر عبر الحدود

تفوقت على تجارة المخدرات[4] ويرى المراقبون أن الهجرة السرية ستتفاقم على المدى القريب ويساعدها في هذا مبدأن أساسيان : [2]

- أولا : إن سوق العمالة الأوروبية في حاجة إلى اليد العاملة (عقول مدربة ، وعقول غير مدربة)
- ثانيا : إن الدول المصدرة للهجرة لن تتعاون مع الدول المستقبلة للحد من تلك الهجرة وهذا لأنها أصبحت مصدرا لجلب العملات الصعبة لها . [4]

وقد سجل أخر تقرير للتنمية الإنسانية العربية لعام 2002 إن نصف المراهقين في العالم العربي يرغبون في الهجرة لعدم رضاهم عن الأوضاع الراهنة وحتى الفرص المستقبلية في بلدهم ، ومن هنا ركزنا في دراستنا على أهم العوامل الرئيسية للهجرة سواء الدافعة أو الجاذبة منها وأخذنا الهجرة المغاربية لأوربا نموذجا وفي الختام سجلنا أهم المطالب للخروج من هذا المأزق مستقبلا [3].

العوامل الرئيسية المؤثرة على تاريخ و حاضر الهجرة :

- العوامل الاقتصادية : تضم اختلاف الرواتب ، الرفه الاقتصادي ووسائل العيش.
- العوامل الاجتماعية : القرب من الأقارب والأصدقاء
- العوامل الثقافية : أساليب العيش ، الانتماء القبائلي بما فيه التنظيمات الاجتماعية الدين ، القيم .....الخ
- العوامل الجيوسياسية :الضغوط ، النزاعات ، الحروب ، عدم الاستقرار السياسي ، تهديدات الحياة .
- العوامل البيئية : قدرة استيعاب الارض للسكان بمصادر محدودة فهذه العوامل وغيرها سبب في تدفقات هجرية

واسعة خاصة عندما تلتقي مع اللاستقرار السياسي . إن الروابط السببية بين هذه العوامل والتدفقات واضح جدا فمثلا لو كان كل شيء متساو فمعظم الناس يفضلون الأجور العالية والقرب من عائلاتهم كذا حرية الدين [4].

العوامل الدافعة للهجرة :

تنقسم العوامل الدافعة للهجرة إلى عوامل حقيقية و أخرى شكلية أما الشكلية منها فتتمثل في النمو الديموغرافي السريع والذي له تأثير مباشر على التنافس الغذائي ومصادر أخرى كذا الفارق الرفاهي بين الشمال والجنوب .

وأما الحقيقية فهي كذلك تتجزأ إلى جزئين: بسيط ومعقد كما هي موضحة في الشكل :

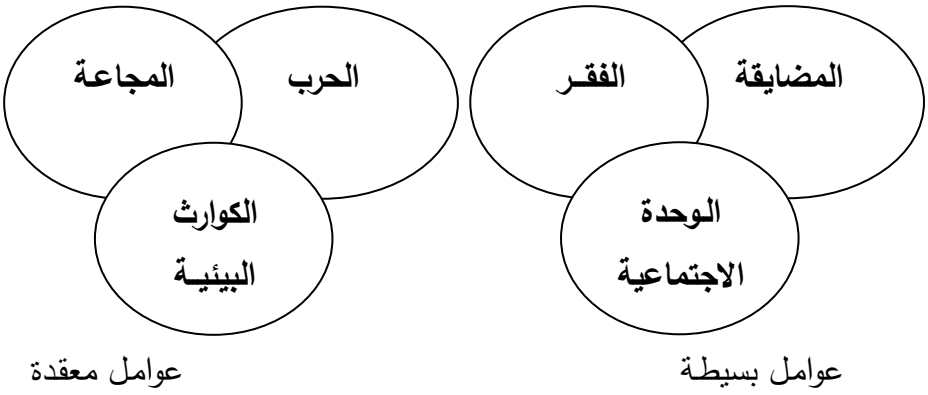

شكل (1) العوامل البسيطة والمعقدة الدافعة للهجرة

العوامل الجاذبة :

التمييز بين العوامل الدافعة والجاذبة غير واضح من وجهة النظر العلمية .فالثروة يمكنها أن تكون عامل جاذب كما يمكنها أن تكون عامل دافع من وجهة نظر تقنية والفارق بين المؤثرات مثل : الراتب ، الحماية ، طلب العمل يكون عادة شاسع بين الشمال والجنوب ويعد كذلك عامل جاذب ضف إلى ذلك الفارق الرفاهي . والاستقرار الأمن (السلم).

الانفجار السكاني :

لقد استعرض تقرير صندوق الأمم المتحدة للسكان جملة من المشاكل السكانية على مستوى الأرضية (5) وركز بشكل واضح على دول العالم الثالث إلا انه لم يتطرق للبون الشاسع في مستويات المداخيل بين الشمال والجنوب والظروف التي أفضت إلى إبقاء دول شتى في أوضاع سيئة .

إن سكان الكرة الأرضية معنيون جميعا بمشاكلهم ولا يستطيع الشمال المتقدم أن يحيا بمعزل عن معاناة ومشاكل الجنوب الذي مازالت بعض الدول ترزح تحت وطأة الفقر والنزعات والحروب الأهلية وتفك بأبنائه الأمراض المعدية والوبائية تحت مرأى ومسمع المجتمع الدولي *[5]*.

فزيادة نسبة النزوح السكاني الداخلي من الريف إلى المدن خلق ضغوط شديدة على الجانب الخدمي صحيا وتعليما وضاعف من نسبة البطالة فيها ،كما أوجد اختلالا ديمغرافيا في التركيبة السكانية وفي الجانب الآخر زادت معدلات الهجرة الدولية إلى أوروبا وأمريكا الشمالية واستراليا عبر موجات بشرية قادمة من آسيا ، أفريقيا ، وأمريكا اللاتينية بحثا عن أنماط معيشية أفضل .

فالعالم ألان وبعد أن وصل تعداد سكانه إلى حوالي ستة مليارات نسمة أصبح في حاجة ماسة إلى أن يعنى بمجالات عدة منها : الصحة ، قضايا معدلات وفيات الأمهات فيروس نقص المناعة(الإيدز) وإلى احتياجات المراهقين إذا فالمطلوب تبني مفهوم يتطلع لعولمة الحقوق الأساسية للإنسان ويتضمن توفير الحد الأدنى من الحياة الكريمة المرء حيث هو ، حتى لا يضطر إلى النزوح مهاجرا فارا من بجلده من الجوع والفقر والظلم القائم في وطنه.

الهجرة المغاربية

إن الهجرة المغاربية لدول أوروبا هي ظاهرة تشكل واحدة من المعالم الاجتماعية البارزة لمنطقة المغرب العربي وهي عنوان المتغيرات اجتماعية عديدة ، يساهم في تشكيلها التفاعل التاريخي والواقع الاجتماعي وأشياء أخرى بفعل القرب الجغرافي والتقاطع الثقافي بين ضفتين البحر الأبيض المتوسط .

بالعودة إلى الجانب التاريخي نجد أن منطقة المغرب العربي كانت دائمة التفاعل مع الضفة الأخرى من البحر المتوسط ، إن وكانت العلاقة لم تتسم في اغلب مراحل التاريخ بمواسم الود ولالتقاء الإيجابي ... ألا أنها علاقة تقاسمت جميع التجارب الحضارية العابرة للمنطقة إن قضية الهجرة من ضفة جنوب المتوسط باتجاه شمال الضفة تعود اليوم لتشكل هما مشتركا للضفتين معا ... جنوب الضفة يرى من حقه المغامرة في اتجاه الشمال بحثا عن فرص العمل والحياة الأفضل وتحقيقا لمستوى المعيشي أرقى .. وشمال المتوسط يرى في هذه الهجرة خطرا حقيقيا على استقراره الاقتصادي و أمنه العام . ***[6].***

لا توجد هناك أي إحصائيات دقيقة للمهاجرين من البلدان المغاربية (تونس الجزائر ، المغرب) نحو بعض البلدان الأوروبية (فرنسا ، هولندا ، بلجيكا) إلا أن بعض المراكز الأوربية تقدر نسبة المهاجرين المغاربة لاروبا

بـ *3* ملايين مهاجر ونلخصها في الجدول أدناه .*[7]*.

البلد	المغرب	%	الجزائر	%	تونس	%	المجتمع المغاربي	المجتمع الخارجي
فرنسا(1991)	*573*	*15.9*	*614*	*17.1*	*206*	*5.7*	*1.393*	*3.597*
هولنـدا	*136*	*20.0*	*1.1*	*0.2*	*1.5*	*0.2*	*139*	*678*
بلجيكـا	*133*	*14.7*	*9*	*1.0*	*5*	*0.5*	*147*	*903*
إيطاليـا	*131*	*10.6*	–	–	*19*	*3.9*	*180*	*1.241*
ألمانيـا	*84*	*1.1*	*19*	*0.2*	*25*	*0.3*	*127*	*7.366*
أسبانيـا	*111*	*18.2*	–	–	–	–	*111*	*610*
							2.097	*14.395*

جـدول . I . توزيـع المجتمـع المغـاربي المهـاجر لـبعض الـدول الأوربيـة الرئيسية خلال سنة *1997*(بـا لآلاف) (*8*)

- **يوضـح الجـدول (. I .) أن أعلـى نسـبة مـن المهـاجرين المغاربـة قـادمون مـن المغـرب والجزائـر ويلـيهم فـي ذلـك التونسـيون فأغلبيـة المهاجرين الجزائريين يفضلون الهجرة إلـى فرنسـا دون سواها من الدول الأوروبية وبنسبة أقل التونسيون بينما المهاجرين من المغرب يوفدون**

بنسبة هائلة إلى كل من لند أسبانيا و هذا لعدة أسباب وعوامل تاريخية . جغرافية . ثقافية ونحوها . وقد مرة الهجرة المغاربية بمراحل ثلاث :

أولها : لفترة الاستعمارية أين كانت الهجرة حسب حاجات المستعمر لها واحتياجاته لليد لعاملة والجند.

ثانيها : بعد أن نالتا كل من المغرب وتونس استقلا ليهما (*1956*) وتلتهم الجزائر (*1962*)،ازدادت نسبة التدفق للهجرة سواء لفرنسا أو مرورا بها لبعض الدول الأوربية الأخرى كبلجيكا ، هولندا ، ألمانيا ، .....) وكانت في مجملها شرعية . *[8].*

ثالثها : تبدأ هذه المرحلة من السبعينات أين ضيقت كل من الدول الأوروبية وأمريكيا الشمالية الخناق على الهجرة فأفرزت عنه ظاهرة جديدة طفت على السطح ، منها الهجرة السرية ، والتي خلفت من وراءها مأساة هائلة في الأحزان والفقدان لأرواح أعداد هائلة من الشباب في زهرات العمر أكلتهم أسماك البحر المتوسط ورمت أمواجه بأجسادهم إلى شواطئه المترامية . ومنها الهجرة الموسمية والتي هي مثابة استجابة لمتطلبات هاته الدول من يد عاملة في بعض القطاعات أخص بالذكر منها الفلاحية .*[9].*

رابعها : هجرة النخب العلمية والمفكرة بحثا عن واقع افضل وهروبا من وضع علمي ومادي لا يحقق الحلم المرغوب .....ألا أن ذلك يشكل نزيفا حقيقيا لكوادر وعقول المنطقة .

فالحقائق الميدانية والبيانات العلمية تسلط الضوء بطريقة موضوعية على مشكلة الهجرة المغاربية والتي شكلت جزاء من قلق الماضي والحاضر ولاتزال تداعياتها ترسم صورة قائمة لملامح في المستقبل *[10].*

خاتمة :

لمعالجة أسباب مشكلة الهجرة لابد من إستراتيجية تتسم بتحديد المسؤوليات وتكون قابلة للتقدم ومتبعدة عن الأنانية معظمة قدرة الشراكة الإيجابية بين أغنياء العالم وفقرائه وهذا لسد الفجوة السحيقة التي تفصل بين الشمال والجنوب فلابد إذا من جهد دولي بجمع بين الأغنياء والفقراء على مائدة واحدة والسعي بجدية لوضع إستراتيجية للتنمية المتوازنة ، تقدم حلولا ملموسة لتوفير جميع الاحتياجات الأولية والضرورية لكل إنسان على وجه الأرض وبدلا من تركيز العولمة على الجانب الاقتصادي و عسكرة العالم فالمطلوب هو تبنى مفهوم يتطلع لعولمة الحقوق الأساسية للإنسان ، من توفير الموارد لتحقيق إستراتيجيات

الحد من الفقر

إنجاز التنمية المستدامة

تشجيع الاستثمار في العالم لنامي

لاشك إن قضية الهجرة تمثل أحد القضايا الأساسية على أجندة لعالم والتصدي لهالك يكون إلا عبر جهود مخلصة متضافرة تستهدف مواجهة حقيقية مع الفقر والتخلف الكامنين خلف كل عوامل الطرد في الأوطان المصدرة للبشر لأن الإجراءات العقابية مهما كانت قسوتها لن تكفي لأن الواقع الذي يهرب منه المهاجر أشد قسوة

وسوف تظل خطوات العالم مضطربة إذا استمر التناقض بين النمو المضطرد في مركز الاقتصاد العالمي مواكب للفقر عبر الحفاة ولن يكون هناك بديل غير تعكير صفو الأغنياء إذا ما أصرو على النهج الأناني المفرط الذي يواجه حركة العالم نحو الكارثة .

المراجـع :

Les Références

(1) **Michel Poulim : Contrbution à L'anglyse d'une matrice d'une migration P 337 – 357**

(2) د. طلعت شاهين : (الهجرة) ...سلاح الجنوب في مواجهة الشمال ، جريدة البيان الجمعة 2001/03/13

(3) Michel Poulim : therie micrreinomique sur la migration

(4) Sture oberg : Spatel and ecnomic fectoirs in future south – Nord migration

(5) الانفجار السكاني في العالم و الهوة الشاسعة بين الشمال و الجنوب جريدة البيان 08 أكتوبر 1999

(6) الهجرة في المغرب دراسة جديدة لمركز زايد للتنسيق و المتابعة جريدة البيان الجمعة 06 جوان 2001

(7) Mohamed Mghari : La migration maghrébine vers L'Europe

(8) Courboge y (1996) : Le population moghribine à Létronger Djneuipe , démographique , cerectistique docriecompis B CERED (Robet)

(9) SOPEMT– OCDE (1999) endonce des migration international (paris)

(10) Hamdouch .B et el (2000) Les marocains résidant à L'étranger